دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	سر جمالية الألوان في القرآن الكريم
المصدر:	الإحياء - المغرب
المؤلف الرئيسي:	الربابعة، حسين محمد
المجلد/العدد:	ع30,31
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	ذوالقعدة
الصفحات:	204 - 207
رقم MD:	207667
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الاشعة فوق البنفسجية، القرآن الكريم، الرؤية، الرؤية القلبية، الرؤية اليقينية، بلاغة القرآن، الضوء، العين، جمال الألوان
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/207667

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

سر جمالية الألوان في القرآن الكريم

د. حسين محمد الربابعة
أستاذ مساعد–جامعة البلقاء التطبيقية، نائب عميد كلية عجلون الجامعية، المملكة الأردنية الهاشمية

"فلنتوجه بالثناء إلى صانع النور، حتى اليوم الذي تنتهي فيه بأمره أيامنا، ولينقض آخر فجر لنا في حمده، وليذب في نهار ليس له مساء أو صباح.." راسين

عرض القرآن الكريم لذكر الألوان على اختلافها وتعددها، وأنعم الله تعالى على الإنسان بحاسة البصر ليميز بها بين مختلف هذه الألوان ويقف على خصائصها من خلال العين، كما اقتضت حكمته جل جلاله أن تتجلى قدرة الإنسان على التفريق بين الألوان من خلال الضوء؛ حيث أنعم سبحانه على الإنسان بتعدد الألوان واختلافها حتى يتسنى له التمييز بين الأشياء عبر شتى أشكالها وصنوفها.. للوقوف على على سر جمالية الألوان في القرآن الكريم يحاول الأستاذ حسين الربابعة أن يطلعنا عن أنواع الرؤية، وماهية اللون، ومصدر الضوء.

أولا: أنواع الرؤية

تنقسم الرؤية إلى نوعين: رؤية قلبية؛ بالضمير أو بالنفس، ورؤية يقينية بوساطة جهاز الإبصار وهو العين، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: "ولوطاً إذ قال لقومه أتاتون الفاحشة وأنتم تبصرون" [سورة النمل / الآية: 56]، هنا تبصرون بمعنى تعلمون، أما في قوله تعالى: "الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها" [سورة الرعد / الآية: 2]، فالرؤية هنا رؤية حقيقية بالعين.[1] وبالعين يتبين الإنسان الأشياء والموجودات تلك التي تمتلك أبعاداً مناسبة كي يقضي معايشه ويصرف أموره وأعماله. غير أنها لا تستطيع تبيان ما صغر من الموجودات كالجزيء والذرة والجسيمات الأولية وأجزائها[2]، ولا ما كبر من الموجودات كالمجرات -مثلاً- فهي لا تدرك من خلق الله تعالى من الأجسام أو الطاقات

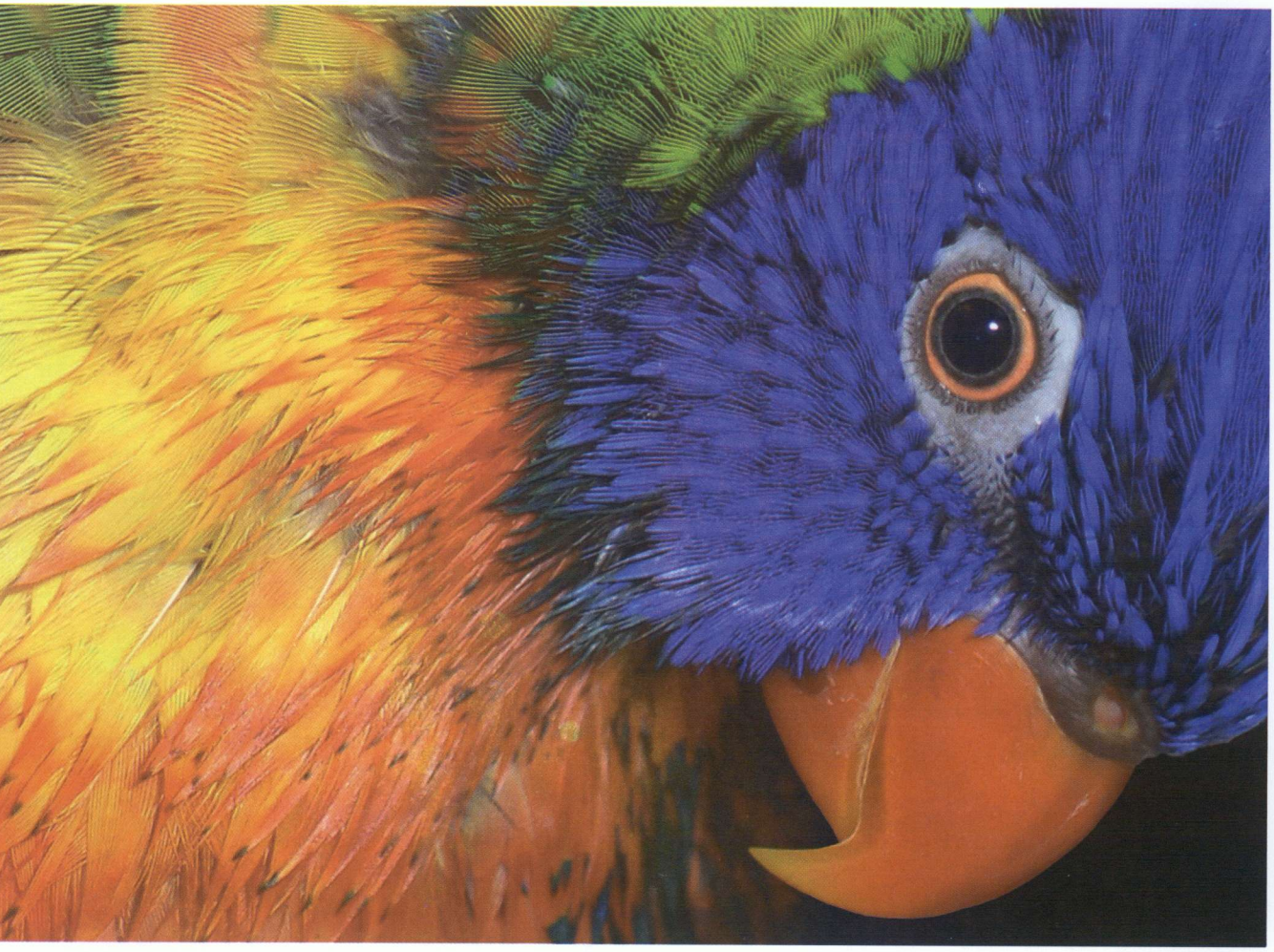

سبحان خالق الجمال

التي لم يشأ أن نراها كالموجة والفوتون والملائكة والشياطين وهذا ما أكده قوله تعالى: "فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا" [سورة الاحزاب / الآية: 9].

ومن فضل الله تعالى أنه خلق النور صنو العين، إذ لا فائدة ترجى من العين بلا نور، فهي لا تبصر إلا بتلقي الضوء وبعد سلسلة من التفاعلات الفيزيائية الكيماوية[3] تغدو إشارات مبثوثة يتسلمها المخ بزمن قصير جدا تعطي الطباع اللوني للمنظورات. ذلك أن العين تحتوي في شبكيتها على نوعين من أعصاب التسلم: نوع يسمى المخاريط وآخر يسمى القضبان وأعدادها بالملايين؛ فأما المخاريط فتستجيب للضوء الساطع وتفسر الألوان وأما القضبان فتميز التغيرات في شدة الضوء وهي حساسة للضوء الخافت[4] ألم تر قوله تعالى: "إذا أخرج يده لم يكد يراها" [سورة النور / الآية: 39]؛ بمعنى أنه لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة[5].

كذلك لو طمست العين لذهب عنها الإبصار وذلك جلي في قوله تعالى: "ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون" [سورة يس / الآية: 65].

ويذهب الإبصار عن العين أيضا لو غلقت أو سدت بأي شكل كان، وبيان ذلك قوله تعالى: "لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون" [سورة الحجر / الآية: 15].

والنور ضوء لابد له من مصدر، فهو إذن صادر، وفي هذا قول إلهي بليغ: "يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار" [سورة النور / الآية: 42].

والضوء أسرع رسول نعرفه، ومصداق ذلك قوله

تعالى: "وما أمرُ الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب" [سورة النحل / الآية: 77]. وقوله تعالى: "وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر" [سورة القمر / الآية: 50]. بدليل ارتباطها بالبصر.

ثانيا: ماهية اللون

اللون ضوء مرئي ذو طول موجي (أو تردد)[6] وإطلاقنا كلمة تردد بمعنى أنه ذو اهتزاز وهو صفة الضوء من الطيف المرئي. ولنا أن نعلم أن ليس كل ضوء يرى، فالضوء على أقسام ثلاثة ترتيبها من الطول الموجي الأقصر إلى الطول الموجي الأطول كالآتي:

الأشعة فوق البنفسجية، فالضوء المرئي، فالأشعة تحت الحمراء. ولو علمنا أن الضوء بأقسامه الثلاثة هو جزء من الطيف الكهرومغناطيسي[7] لاستنتجنا أن نسبة ما يرى من هذا الطيف يسير، غير أنه كاف لانتفاع الناس به.

ثالثا: مصدر الضوء

لو أثيرت الإلكترونات في ذرة ما انتقلت قافزة من مستوى طاقة أدنى إلى آخر يعلوه على وفق ما امتصت من طاقة مقداراً فغدت ذرة مثارة، والذرة تكره الإثارة وميالة بطبيعتها إلى الاستقرار[8] فلا تلبث أن تستقر خلال واحد من مائة مليون جزء من الثانية أو بحدود ذلك، إذ يقفل الإلكترون عائداً إلى مستوى أدنى من الطاقة باعثاً الطاقة التي سبق وأن امتصها. هذه الطاقة ليست إلا اهتزازات مجاليه وليست جسمية. في حين أن مصدرها جسيمي تتمثل لنا في ضوء مرئي أو غير مرئي..

إن الطيف المرئي يندرج من أطوالها طولاً موجياً إلى أقصرها طولاً موجياً كالآتي: الأحمر فالبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلي فالبنفسجي على أن هذه الألوان ليست بالألوان الأساسية، إنما الألوان الأساسية ثلاثة: الأحمر والأخضر والأزرق، وإذا مازجتها ظهرت لك ألوان أخرى على وفق نسب المزج؛ فلو مزجت الأحمر والأخضر ظهر لك اللون الأصفر بنسبة 100 بالمائة إلى 50 بالمائة لظهر لك اللون البرتقالي وهكذا والقائمة تطول.

ومن الواجب معرفة أن اللون ليس بصبغة؛ فاللون ضوء والصبغة مادة تعكس الضوء (اللون) والصبغات الأساسية ثلاثة: الصفراء والفيروزية والأرجوانية، فالصبغة الصفراء تعكس من الضوء الأبيض لونين هما: الأحمر والأخضر لكنها تمتص اللون الأزرق، والفيروزية تمتص اللون الأحمر والأزرق في حين أنها تمتص اللون الأخضر، ولو مازجت بين الصبغات الأساسية الثلاثة بنسب متساوية لظهر السواد وتفسير ذلك يكتسي أهمية خاصة في موضوع بحثنا؛ فامتزاجها يظهرها كما لو أنها تأكل بعضها البعض؛ إذ تمتص إحداهما ما تعكسه الأخرى، ومن هنا يتبين لنا أن السواد ليس بلون قابل للرؤية. إذ كيف لنا أن نرى لونا لا يصل منه للعين شيئا من الضوء.وثم فإحساسنا رؤية اللون الأسود إنما يأتي من خلال ما يحيط به من ألوان تحدده توضح حواشيه وأطرافه وفي هذا المعنى أحسن الشاعر[9] حين قال:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة
سودا كخافية الغراب الأسحم

ولو سألت إذن ما سبب أن السوادات ليست على درجة واحدة من السواد والنقاء؟ نقول: وجب لك أن لا تنسى أن أي جسم لابد وأن يعكس آخر أو يعكس نسبة من البياض تجعل الأجسام ذات تفاوت.

رابعا: ظواهر ضوئية

أول هذه الظواهر: "الإنارة" وهي ضوء مشع بلا حرارة وينبعث من تهيج ذرة بوساطة مثير من الأنواع المختلفة للإشعاع الكهرومغناطيسي وهي على نوعين:

1. الفلورة وتدوم لمدة زمنية قصيرة لا تعدو أجزاء من الثانية.

> من فضل الله تعالى أنه خلق النور صنو العين، إذ لا فائدة ترجى من العين بلا نور، فهي لا تبصر إلا بتلقي الضوء

2. الفسفرة وتدوم لعمر أطول.

ومن الأمثلة المشهورة على مصادر ضوء الإنارة ما ينبعث من الحشرات واليراعات ليلا، ومن بعض الأنواع من السمك والعضويات الطافية فوق سطوح المياه.

وثانيها: "الاستطارة"[10] حالة يجري فيها امتصاص الضوء ثم بثه بوساطة إلكترونات المواد العالقة في المحاليل أو بعض دقائق الأتربة والملوثات في جو الأرض أو جزيئات الهواء الجوي والغازات المكونة له.

فتأمل معي قوله تعالى: "ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء" [سورة النحل / الآية: 79]. ولتلاحظ أمرين: **أولهما:** ارتباط الرؤية اليقينية بالضوء بصورة غير مباشرة بدليل قوله تعالى: "في جو السماء"؛ لأن جو السماء هو الذي يظهر الرؤية ولولاه لما كانت هناك رؤية لجو السماء، إذ أن زرقة السماء عائدة إلى جوها، ولولا الجو لبدت سوداء ألم تر أنه لم يقل في الجو أو في السماء. **وثانيهما:** أن الطير لا يستطيع العيش ولا الطيران إلا في جو السماء.

إن الضوء المستطار يكون بكل الاتجاهات لكنه يختلف ما يستطار من لون لآخر على وفق نسبه معينه في اتجاه ما، فإذا تلقت العين الضوء عندما تكون قبالة الضوء الأبيض الساقط على وسط فيه دقائق عالقة ذات أقطار مناسبة رأت الحمرة طاغية، وإذا وقعت العين متعامدة مع سقوط الضوء الأبيض طغت الزرقة وإلى هذا تعزى زرقة السماء ضحى وحمرتها عند الشروق والغروب.

وحقيقتها لا زرقاء ولا حمراء، وإلى هذا أيضا يعزى لون العيون وألوان ريش بعض الطيور كالمطوقات الحمام، والعرب تقول عن الفجر أنه فجران كاذب وصادق، والفجر الكاذب ضوء مستطيل والصادق منتشر[11].

وإن الخضرة قد تحتمل لغة أن تعني الزرقة كما ورد في الحديث الشريف: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر)[12]، إن العيون لو كانت صبغة زرقاء لبدت كل الموجدات لصاحبها زرقاء وسوداء ليس إلا. كما لو وضع أمام عينيه زجاجتين زرقاوتين وهذه لعمري عيشة لا تحلو.

جمال البلورات

-" من المعتقد أن البلورات هي أكثر الأشكال كمالا في الطبيعة غير العضوية بأسرها. وإذا نظرنا إلى تلك التكوينات ذات التركيب الرائع والضياء المشع، وتأملنا انتظامها المذهل وجمالها الأخاذ، يمكن أن نتصور فعلا أن المادة غير العضوية تحولت فيها إلى كيان روحي، وذلك باكتسابها كمالا لا شائبة فيه."

أرنست فيشر، "ضرورة الفن"، أرنست فيشر، ترجمة أسعد حليم، الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 161.

الهوامش

1. هناك قولان في هذه الرؤية: أولهما: ترجع إلى السماء، والثانية: ترجع إلى العمد وفي الرؤيتين لا اختلاف إنها رؤية حقيقية.
2. هناك أجزاء حتى للإلكترون والبروتون نفيه تدعى الكواكات كما أن الله تعالى نفسه لا يرى بدليل قوله: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" [سورة الانعام / الآية: 104]. و بدليل قوله تعالى: "فلما رأته حسبته لجة" [سورة النمل / الآية: 45].
3. يجري تفاعل كيماوي (وهو عكسي) في خلايا العين يعطي إشارات كهرومغناطيسية بوساطة الأعصاب إلى المخ وهناك يجري تفاعل آخر يعطي الانطباع اللوني.
4. النسو وفن الفيزياء، ص: 508، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجامعة التكنولوجية.
5. يقول الفراء: يكد صله أي لم يرها. أما المبرد: فيقول لم يرها إلا بعد جهد (ينظر تفسير الخازن).
6. طول الموجة يتناسب عكسيا مع ترددها.
7. حدود الأطوال الموجية المرئية بين الأحمر 780 نانوميتر والبنفسجي 380 نانوميتر، بينما يمتد الطيف الكهرومغناطيسي من بضع كيلو مترات إلى 10-14 متر؛ أي المرئي 400 نانوميتر من 10 36 نانوميتر.
8. هذا الميل لا يخلو من جانب فلسفي.
9. الشاعر هو عنتر العبسي، معلقته (راجع ديوانه أو شرح المعلقات للزوزني).
10. هناك أنواع أخرى من الاستطارة وهنا نتحدث عن استطارة رايلي.
11. ابن قتيبة: الأنواء في مواسم العرب. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 88، ص: 146.
12. أحمد القرماني، تاريخ الدول وأثار الأول، ط.حجرية، ص: 9.